المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 292 - 303
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

سيميائية العنوان في رواية "السوط والصدى" لـ"عائشة بنور"

Semiotics the title The novel "the Whip and the Echo "by"Aicha Bennour"

ربيعة حليتيم [1*]، سليم كرام [2]
[1] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر).Rabiaa.halitim@ univ-biskra.dz
[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر). Salim.kiram67@gmail.com
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها(جامعة محمد خيضر بسكرة).

تاريخ الإرسال: 2021/05/02 تاريخ القبول:2021/06/11 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص : تروم هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العنوان من خلال عنوان رواية السوط "السوط والصدى" للكاتبة "عائشة بنور" باعتباره من أهم العتبات النصية التي أولتها السيميائية الحديثة أهمية لأنه يعدّ علامة لغوية ودلالية تساعد القارئ / المتلقي على فهم المعاني العميقة للعمل الأدبي، إذ يتضافر مع باقي العتبات النصية من (عنوان وإهداء وتصدير) في إضاءة النقاط المظلمة في النص، فالعنوان مفتاح أساسي يستند عليه القارئ للولوج إلى أغوار النص العميقة بغية استنطاقها وتأويلها.

فالعناوين إبداع فنّي له القدرة على استفزاز المتلقي وتوجيهه، أثناء قراءة الرواية والغوص في معانيها التي لم ينتظرها ، ذلك أن العنوان الروائي لا يبوح بما جاء في الرواية بل يترك القارئ يستكنه لذّة اكتشاف تلك المعاني، فاختيار العنوان لا يأتي عبثا أو من قبيل الصدفة، فمن خلال بنيته التركيبيه و الدلالية يكشف عن قصدية الكاتب، ومدى حرصه على الربط بين دلالة العنوان بالنص .

الكلمات المفتاحية: السيمياء ، العنوان ، رواية السوط والصدى .

ABSTRACT **:** This study aims at shedding light on the title through the novel's title "The Whip and the Echo"of the author "Aicha Bennour" as it is one of the important textual obstacles that have been given importance by the modern semiotics. It is a semantic and linguistic mark that helps the reader/receiver to understand the deep meanings of the literary work. It interlinks with the other textual obstacles such as the cover, edition, and dedication in enlightening the text.

The choice of the title is not at random, through its semantic and lexical structure, we can see the author's intentionalism and his attention to link the title's semanticity with the text

Keywords: Semiotics, the title, The novel " the Whip and the Echo "

1. مقدمة :

اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص كالعنوان والإهداء والرسومات التوضيحية، وغير ذلك من النصوص التي أطلق عليها "النصوص الموازية" والتي تقوم عليها بنيات النص. ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات متمثلا في نقل مركز التلقي من النص إلى النص الموازي، وهو الأمر الذي عدته

* المؤلف المرسل

الدراسات النقدية الحديثة مفتاحا مهما في دراسة النصوص المغلقة، حيث تعتبر تلك العتبات نصا صادما للمتلقي له وميض للتعريف بما يمكن أن تنطوي عليه مجاهل النص.

تعد سيميائية العنوان من القضايا النقدية المهمة التي خاض فيها النقاد المحدثون، نظرا للدور الذي يؤديه العنوان في الأخذ بيد المتلقي ومساعدته على فهم دلالات النص السطحية والعميقة ، ومن هنا كان الاهتمام به أمرا حتميا لأنه أوّل عتبات النص التي تقع عليها عين القارئ فتأسره وتشد انتباهه وتدفعه إلى اقتناء العمل من أجل اكتشاف دلالاته، ونظرا لأهمية العنوان في العمل الأدبي أردنا تسليط الضوء على هذه العتبة جاعلين من المنهج السيميائي سلاحنا لاكتشاف معالم العنوان من خلال رواية "السوط والصدى" للكاتبة عائشة بنور.

2. أهمية العنوان في التحليل السيميائي :

يعدّ العنوان أولى العتبات النصية المفضية لحقيقة النص وبالتالي« قد يخسر المتلقي كثيرا إذا عبر سريعا إلى نص الرسالة أو العمل متجاهلا العنوان في الآثار المتلاشية في القراءة؛ لأن العنونة هي أولى المراحل التي يقف لديها الباحث السيمولوجي لتأملها واستنطاقها قصد اكتشاف بنياتها وتركيبها و منطوقاتها الدلالية ومقاصدها التداولية، وباختصار فإن العناوين عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص» [1].

العنوان من حيث هو تسمية للنص وتعريف به وكشف له، يغدو علامة سيميائية تمارس التدليل و تتموقع على الحدّ الفاصل بين النص والعالم، ليصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يَعْبُر منها النص إلى العالم، والعالم إلى النص لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما، ويجتاح كلّ منهما الآخر[2].

وعلى أي حال، فالعنوان هو الذي يسم النّص ويعينه، ويصفه، ويثبته، ويؤكده ويعلن مشروعيته القرائية، وهو الذي يحقق للنّص كذلك اتساقه وانسجامه و تشاكله، ويزيل عنه كل غموض وإبهام[3].غير أن العنوان الحديث أصبح وسيلة لتشويش ذهن القارئ، وذلك بوقوعه في المجاز والانزياح ،إذ يدفع بالمتلقي إلى اقتناء العمل المعروض و الغوص في معانيه لفهم دلالاته وانعكاسها على العنوان .

أضحى العنوان علامة سيميائية مهمة تساهم في فهم دلالات النص« فهو يهمس بالمعنى دون أن يبوح به، ليمارس فعل الغواية على القارئ ويسحبه إلى عالم المغامرة »[4]

والعنوان أيضا بنية تحمل من الإيحاءات والدلالات ما يجعلها تحظى بالدراسة والبحث، فهو من البنيات السطحية فنجد مثلا " ليوهوك *L.Heok"* يعتبر« العناوين أبنية سطحية تحيلنا على أبنية عميقة فاتحا بذلك آفاقا واعدة لعلم العنونة»[5].

لذلك اتجه البحث لدراسة سيميائية العنونة؛ لأنها تعتبر من أبرز القضايا التي تتناولها المناهج الحديثة، التي أولت اهتماما واسعا لبنية العنوان لما لها من قدرة فائقة على كشف خبايا النص « فضلا عن اعتبارها أول مثير أسلوبي تصطدم به عين المتلقي في قراءة أي نص إبداعي».[6]

3. التحليل السيميائي لعنوان رواية "السوط والصدى ":

أول ما تقع عليه عين القارئ عند قراءة رواية "السوط والصدى" لفظة السوط: والتي تعني كما جاء في لسان العرب خَلْط الشَّيْء بَعْضِه ببعض، ومِنْهُ سُمِّيَ المِسْواط ،وساط الشَّيْءَ سَوْطا وسَوَّطَه: خاضَهُ وخَلَطَهُ وأكثر ذلك... ،والمِسْواطُ: ما سِيطَ به، وسُمِيَ السَّوْطُ سَوْطا لأنه إذا سِيطَ به إنْسَان أو دَابَة خُلِطَ الدَّمَ باللحْمِ ،وهو مشتق من ذلك لأنه يخلط الدم باللحم ويَسُوطُه [7].

أما لفظة الصدى: فتعني: « الصَّوْت، والصَّدَى: مَا يُجيبُكَ مِنْ صَوْتِ الجَبَلِ ونَحْوِه بِمِثْلِ صَوْتِكَ. قال تعالى: وَمَا كَانَ صَلاَتُهُم عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً قال ابن عرفة :التَّصْدِية مِنَ الصَّدَى ،وهو الصَّوْتُ الذِي يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الجَبَلُ» [8] .

تبين لنا من خلال الدلالة المعجمية أنّ السوط أداة تستعمل لضرب الدواب غير أن هناك من الطغاة من يستخدمها كأداة لضرب الضعفاء من البشر وإذلالهم، أما الصدى فهو صدى ضربات السوط التي تكون أكثر إيلاما من ضربة السوط الأولى، فالاستماع لارتداد ضربات السوط يبثّ في نفوس الضعفاء الرعب والخوف والعجز عن درء تلك الضربات وذلك التعذيب .

جاء عنوان الرواية عبارة عن جملة اسمية بسيطة غير مركبة، حيث ورد كلّ عنصر من عناصره كلمة مفردة.

السوط	الواو	الصدى
خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)	حرف عطف	اسم معطوف

يظهر من خلال هذا العنوان أن الكاتبة ركزت على إظهار الخبر لأهميته، ورغبتها في نقله إلى القارئ. أما حذفها للمبتدأ ففيه اختصار للعنوان الذي هو من خصائص العنوان الحداثي.

إنّ الحذف في العنونة ليس عملية اعتباطية من المبدع، إنما هو تقنية من التقنيات التي يلجأ إليها المبدعون قصد إشراك القارئ أو المتلقي في العملية الإبداعية، فتتعدد القراءات والتأويلات وبهذا يكون المتلقي /القارئ المنتج الثاني للنص بعد المؤلف .

اعتماد الكاتبة على الجملة الاسمية في تركيب عنوان روايتها يبرز دلالة واضحة تتمثل في الاستمرارية وثبات الكاتبة على موقف واحد وهو التمسك بالوطن وعدم التخلي عنه لأنه أغلى ما يملك الإنسان«**كنت كلما قررّت المقارنة بين وطني، ومدينة الجنون يغلبني عشقي...وحنيني إلى وطني بامتلاكه السحر، والجمال، وروح الشهداء ترفرف حوله وتحميه، فأغفر ذنوب ما فعل الساسة بنا؟**»[9]. عشق الكاتبة لوطنها وتقديسها لشهدائه الأبرار جعلها تقدمه على كل الأمور «**الوطن أكبر منا، أكبر من حساباتنا الضيقة**»[10]، ففي سبيل استقراره على كلّ فرد نسيان الضغينة والحقد، وتقديم مصلحة الوطن على كل المصالح.

إذا حاولنا الانفتاح على الدلالات العميقة التي يرمي إليها العنوان انطلاقا من ربطها بما يفصح عنه النص من قضايا تريد الكاتبة تمريرها إلى المتلقي سواء كانت اجتماعية، سياسية ، ثقافية .... ومن خلال تفكيكنا للعنوان تبين :

أنّ السّوط: لفظة سهلة في نطقها و كتابتها لكنها تحمل في أحشائها معاني قوية تعكس ما تسرده الكاتبة، فالسوط يرمز للعنف والظلم والقهر والألم لأنه أداة تستعمل لترويض الضعفاء وجعلهم خاضعين لأوامرهم، وما يزيد من بشاعة هذه الأداة أن هناك من يموت تحت ضربات السوط الذي يمزج اللحم بالعظم، فسوط الإرهاب الذي سُلِط على الشعب الجزائري خلال العشرية الدموية أظهر بشاعة هؤلاء الذئاب الذين لم يرحموا ضعف النساء ولا براءة الأطفال، هؤلاء الوحوش الذين كانوا كالسيل الجارف يقضون على كل جميل يأتي أمامهم .

الارهاب رمى بظلاله على المجتمع الجزائري، وأدخل الرعب في نفوس البشر، وجعلهم يفقدون أعزّ ما لديهم ،فـ"هند" الأستاذة البريئة التي أحبت من كل قلبها "رياض" أستاذ الشريعة، واعتبرته كل حياتها تتغير حاله بسبب الارهاب ويتخلى عنها بكل بساطة ويخلف وراءه امرأة تتعذب لفقدانه « **كيف طاوعته روحه أن يرحل عني مختارا ؟ كيف طاوعه قلبه أن يرحل من دوني، و دون أن يلتفت وراءه وينظر إلى عيوني الدامعة؟**»[11] لقد خلّف وراءه روحا تتعذب خَيّم عليها الحزن والكآبة، روح لم تستطع تحمل غياب من كان كل شيء بالنسبة لها تعبر "هند" عن حزنها بقولها :« **هل أدرك معنى الخراب الذي لحق بروحي، وقلبي الحزين يغرد في سماء موحشة بعده، ليلي لا همس فيه ،غير صوت مهزوم يردد بداخلي : ما أقسى غيابك** »[12]

خان "رياض" "هند" وتخلى عنها بعدما أصبح كل شيء في حياتها ، فضّل عنها فكرا دخيلا تماما مثل ما تخلى بعض أبناء الجزائر عن وطنهم ، فهند هي رمز للوطن الجريح الذي ضحى من أجل حريته مليون ونصف مليون شهيد ،يأتي رياض ليتخلى عنه بأرخس الأثمان لقد رفض البقاء إلى جانب "هند" فتخسر "هند" "رياض" لكنها تربح كرامتها وحريتها بينما هو لا يحصد غير الندم.

لم تتوقف جرائم الإرهاب عند "هند" بل هناك فتيات في عمر الزهور كنّ ضحية هؤلاء الوحوش الذين نسو ا معنى الرحمة فـ"سماح" فتاة من فتيات الجزائر اللواتي تعرضن لعنف الارهاب الذي قضى على حياتها وجعلها سجينة ماض مليء بالدماء وحاضر تشع عينه بنظرات الاحتقار، فسماح «**فتاة الشهادة وحلم الجامعة وسيدة المجتمع الراقي**»[13]، تحطمت كل أحلامها يوم تم اختطافها من قبل الإرهابيين الذين جعلوا منها وسيلة لإشباع رغبتهم الجنسية «**لقد كنت بأثواب ممزقة وملطخة بدماء الاغتصاب**»[14] .

لم تكن معاناة سماح بسبب ما تعرضت له من بطش من سمَّتهم الكاتبة بالذئاب البشرية رغم أنهم تقاسموا جسمها ومزقوه ولم يتركوا لها غير العار و الذل «**ستة ذئاب بشرية مزقت جسمي باسم السلطة والعرف والدين وألبستني حجاب الذل والعار**»[15]بل الأمر كان أكبر من ذلك فـ"سماح" فقدت مع جسمها مجتمعها ووطنها وأهلها والأهم من ذلك ثقتها بنفسها فما تعرضت له من «**طقوس الهيجان الجنسي جعلها رهينة الضياع والعار**»[16] قلب حياتها رأسا على عقب حيث ألبسها حجاب الذل والعار وشتت عائلتها وهذا ما تصفه بقولها « **أقعد أمي سجينة عيون الاتهام ، ومات أبي بفاجعة الواقعة، وحمل إخوتي سلاح الأمن وعيونهم تتطاير منهم شرارة الانتقام من بني جلدتي الذين نصبوا أنفسهم أوصياء الشريعة**»[17] .ما حدث لـ" سماح " كان سببا في تدمير عائلتها فأمها لم تتحمل اختطاف ابنتها واغتصابها ، ووالدها فضّل الموت على أن يعيش وهو يحمل هذا العار ،أما إخوتها فقد رهنوا حياتهم للانتقام .

أما لفظة **(الصدى)** فلم تكن أقل تعبيرا من لفظة السوط عن الألم الذي يعانيه كل أفراد المجتمع الجزائري بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ،فالصدى هو صدى ضربات السوط التي تكون أكثر إيلاما من ضربة السوط الأولى ،فالاستماع لارتداد ضربات السوط يبث في نفوس الضعفاء الرعب والخوف والعجز عن درء تلك الضربات وذلك التعذيب. فعجز الشعب الجزائري أمام وحشية الإرهاب وعدم قدرته على مواجهة بطشه وحقارته جعله يتألم .

4. **العنوان والنصوص الموازية الأخرى:** النصوص الموازية مجموعة من العناصر المحيطة بالنص والتي تساعد على فك الشفرات المبثوثة في المتن، وعليه لا يمكن للقارئ تجاوز تلك النصوص، والمرور عليها مرور الكرام، بل عليه أن يتوقف عندها ومحاورتها وفك طلاسمها لأنها تساعده في فهم مقاصد المؤلف وتساعده على الولوج إلى النص الرئيس.

عند تناول العنوان بالدراسة ،لابد من ربطه بباقي النصوص الموازية من غلاف وإهداء وتصدير لأنها عتبات تحيط بالنص وتساهم في إضاءة ما خفي منه .

1.4 العنوان والغلاف: لم يعد الغلاف مجرد غطاء سميك يستعمل لحفظ صفحات الكتاب، بل أصبح عنصرا مهما من عناصر النص الموازي باعتباره أول ما يلفت نظر القارئ، فتساعده إشاراته، من عنوان وصورة، وألوان، ودار نشر، واسم مؤلف على اكتشاف علاقة النص الرئيس بالنصوص الموازية، «فالغلاف عتبة ضرورية للولوج إلى النص قصد استكناه مضمونه، ورصد أبعاده الفنية واستخلاص نواحيه الإيديولوجية والجمالية »[18].

يعدّ الغلاف الواجهة التي يعرض من خلالها الكاتب عمله الإبداعي فهو فضاء تسبح فيه أغلب النصوص الموازي بما فيها العنوان الذي يحتل الصدارة على صفحة الغلاف فيتميز على باقي العناصر الأخرى خطا وكتابة، أضف إلى أن دلالاته تتماوج بين التعيينية، والإيحائية، والرمزية لذلك أضحت قراءة الغلاف ضرورة ملحة لفك بعض شفرات العنوان التي تساعد على الولوج إلى النص الرئيس وفتح مغاليقه الداخلية.

اخترنا غلاف الطبعة الثانية لأنه أكثر تعبيرا عمّا جاء في الرواية حيث استقت الكاتبة موضوعها من عمق المأساة الوطنية واصفة معاناة المرأة في تلك الفترة بسبب وحشية الإرهاب الذي رمى بشروره على الأوطان العربية، فاللون الأسود الذي طغى بشكل واضح على غلاف الرواية من الجهتين الأمامية والخلفية يرمز إلى السواد الذي عاشه المجتمع الجزائري بسبب الإرهاب.

يظهر على الغلاف الأمامي رجل يحمل سوطين بكلتا يديه من خلال وقفته نفهم أنه في تمام الاستعداد للضرب ومزج الدم باللحم بواسطة سوطيه .

أما الباب فهو يمثل المنفذ الذي سيخرج منه المجتمع الجزائري و يتحرر من هذا الوحش الذي لم يرحم لا الصغير ولا الكبير ، لا المرأة ولا الرجل، وما يؤكد أنّ الباب يمثل المنفذ والمخرج من تلك الأزمة اللون الأبيض الذي يدل على الانفراج وهو لون يشعر صاحبه بالطمأنينة والسلام، كما ضم الغلاف حجرا أثريا أخذ تقريبا نصف مساحة الغلاف، وهو يرمز إلى المثقف الجزائري وتاريخه، هذا المثقف الذي كان ضحية بشاعة الارهاب.

مما زاد الغلاف مأساوية اللون الأحمر الذي كتب به العنوان، وجنس العمل (رواية) فلاشك أنه علامة ترمز إلى الدماء التي سفكت في تلك الفترة أو كما سميت بالعشرية السوداء.

أما عن اسم المؤلفة فقد كتب فوق العنوان على الجهة اليمنى باللون الأبيض الذي يرمز إلى السلام والهدوء، والنقاء، وهو أيضا رمز للطهارة و الأمل. وقد نستدل به على انعدام السوء بدليل قوله تعالى:﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ سورة القصص الآية 32.

استعمل في العقيدة الرومانية رمزا للإله. والمسيح عادة ما يمثل بثوب أبيض. ولدلالته على الصفاء والنقاء اختاره المسلمون لباسا لهم أثناء الحج والعمرة[19].

غير أن هذا اللون لا يدل دائما على الصفاء والنقاء والطهارة، بل قد يرمز إلى الحزن وما يتبعه من ألم وحسرة، باعتبار أن لون الكفن أبيض وهو يدل بطبيعة الحال على الحزن وما يتبعه من ألم، وهذا ما كانت تشعر به الكاتبة بسبب ما كان يحدث في وطنها من مجازر، خلفت ندوبا لن تندمل أبدا، لذلك اختارت أن يُكْتب اسمها باللون الأبيض للدلالة على الحزن الذي يكتسح نفسها ويعذب روحها .

وهكذا نرى أن العنوان تناغم مع الغلاف وألوانه ليعزفا معا لحنا حزينا عبرت عنه ألفاظ العنوان التي حملت في أحشائها معاني العنف الذي سُلِط على الشعب الجزائري بصفة عامة وعلى المرأة و الأطفال بصفة خاصة هذا العنف الذي حمل كل معاني الألم والحزن الذي دل عليه اللون الأسود الذي طغى على صفحة الغلاف.

أما الوجه الخلفي فقد حمل قراءة للدكتورة "أمال كبير" تشيد فيها بأهمية الرواية وبراعة الكاتبة في التفنن في سردها، كما نجد أسفل الغلاف دار النشر مع رمزها .دون أن ننسى أن السوداوية والمأساة تجلت على الوجه الخلفي من غلاف الرواية من خلال اللون الأسود الذي سيطر عليه .

2.4 العنوان والاهداء:

أ- مفهوم الإهداء: هو مجموعة من الكلمات والعبارات التي ينسجها المؤلف بجملة من المشاعر والأحاسيس بغية تقديمها إلى شخص أو جماعة أو مؤسسة تربطه بهم علاقة حقيقية أو معنوية، «فالإهداء هو تقدير الكاتب وعرفان يحمله للآخرين، سواء كانوا أشخاصا أو مجموعات(واقعية أو اعتبارية)،وهذا الاحترام يكون إما في شكل مطبوع(موجود أصلا في العمل/الكتاب)، وإما في شكل مكتوب يوقعه الكاتب بخط يده في النسخة المهداة »[20]. والهدف من الإهداء يكمن في نشر المحبة بين المتهادين وتوطيد العلاقات بينهم .

ب- **وظائف الإهداء:** يجعل "**جيرار جنيت**" للإهداء عامة وظيفتين أساسيتين هما:

<u>الوظيفة الدلالية:</u> هي الباحثة في دلالة هذا الإهداء وما يحمله من معنى للمهدي والعلاقات التي سينسجها من خلاله.

<u>الوظيفة التداولية:</u> وهي وظيفة مهمة لأنها تنشط الحركية التواصلية بين الكاتب وجمهوره الخاص والعام ،محققة قيمتها الاجتماعية وقصديتها النفعية في تفاعل كل من المهدي والمهدي إليه [21].

ت- **أنواع الإهداء:** يقسم "جميل حمداوي" الإهداء إلى قسمين[22] :

. الإهداء الذاتي: ***auto dédicace*** حينما يوجه الشاعر (الكاتب) الإهداء إلى نفسه، كما هو الأمر عند "جيمس جويس J.Joyce" الذي استهل بعض نصوصه السردية بالعبارة الإهدائية التالية :« أهدي العمل الأول في حياتي إلى روحي الخالصة »

. الإهداء الغيري: حينما يوجه المؤلف العمل إلى غيره ويكون بدوره خاصا أو عاما وعليه يمكن تمييز نوعين من المهدى إليه /إليهم (الخاصون و العامون)، ويقصد بالمهدى إليه الخاص *le dédicataire privé* شخصية إما معروفة أو غير معروفة لدى العموم والتي يُهدى إليها العمل باسم علاقة شخصية: ودية، قرابة أو غيرها ....أما المهدى إليه العام أو العمومي *le dédicataire public* فهو شخصية أكثر أو أقل شهرة والتي يبدي المؤلف نحوها، وبواسطة إهدائه، علاقة ذات رابط عمومي: ثقافي، فني، سياسي[23] .كأن يهدي عمله إلى منظمات إنسانية، أو مؤسسات ثقافية و غير ذلك .

لقد غدا الإهداء عنصرا من عناصر النص الموازي المحيطة بالنص، والتي تساعد على فك الشفرات المبثوثة فيه، وعليه لا يمكن للقارئ تجاوز تلك النصوص والمرور عليها مرور الكرام، بل عليه أن يتوقف عندها ومحاورتها وفك طلاسمها لأنها تساعده في فهم مقاصد المؤلف وتساعده على الإبحار في دلالات النص الرئيس.

جاءت صيغة هذا الإهداء في رواية السوط والصدى كالتالي:« **إلى كل من عانى من مأساة الفتنة ودفع حياته بين فكي السلطة والتطرف**»[24]،حيث جاءت لفظة الإهداء كعنوان وتحتها مباشرة نص الإهداء، واللافت للانتباه أن نص الإهداء لم يتضمن الفعل (أهدي) إنما حذف الفعل وتم الاكتفاء ب (إلى) .

يدرك القارئ من الوهلة الأولى أن الكاتبة وجهت اهداء غيريا جماعيا إلى مهدى إليه خاص حيث خصصت إهداءها إلى كل من عانى مأساة الفتنة وكان ضحية التطرف، نستشف من خلال مفردات الإهداء المأساة التي عاشها الشعب الجزائري خلال العشرية السوداء هذه الفترة التي راح ضحيتها الأبرياء من أطفال ونساء .ومن هنا ندرك أن هناك تعالقا بين العنوان والإهداء إذ أن كلا منهما عبّر عن مدى الألم والعنف الذي جسدته المجازر التي كانت تقع في الجزائر «**نقلت وسائل الإعلام خبر اغتيال إحدى عشرة معلمة ذبحاً،**

إحداهن كانت حاملا في شهرها الرابع، لم تشفع لهن صرخاتهن ونحيبهن و توسلاتهن الرحمة، وتركن يسبحن في بركة من الدماء»[25].هي مجازر جعلت الشعب الجزائري يتألم من عجزه وعدم قدرته على درء عنف الارهاب، أكثر من تألمه بسبب تعذيب الارهاب المادي والنفسي .

عند قراءة المتن يتضح أن الإهداء يتقاطع مع مضمون الرواية ،ويمكن أن نقول إن المتن هو من فرض على الكاتبة كتابة نص الاهداء لأن هذا الأخير اختزل مضمون الرواية، كما أن له علاقة وطيدة بالعنوان والغلاف .

بالإضافة إلى أن إهداء الكاتبة حقق وظيفة تواصلية بين الكاتبة نفسها ومن قدمت لهم هذا الإهداء وهم من كانوا ضحية للمجازر التي وقعت في الجزائر خلال العشرية الدموية .

3.4 العنوان والتصدير:

أ- مفهوم التصدير: التصدير مصاحب نصي من جنس خطاب الاستشهاد، بل إنه الاستشهاد بامتياز... ويوضع على رأس عمل (نص أو مجموعة نصوص أو جزء من عمل متسلسل) لأجل توضيح بعض جوانبه[26] وبما أن التصدير هو الاستشهاد بامتياز ينبغي التنويه إلى مفهوم الاستشهاد الذي «جاء في معجم *Le petit Robert* ضمن مادة استشهد التحديد التالي للاستشهاد: فقرة لكاتب مشهور يستشهد بها مؤلف ما لتوضيح قوله وتعزيزه »[27]، عادة ما يلجأ المبدع إلى توظيف التصدير/ الاستشهاد بهدف توضيح محتوى متنه ودعمه، وذلك من أجل إقناع المتلقي بأفكاره وآرائه المبثوثة في متنه.

ب-أنواع التصدير: يمكن أن نميز في التصدير من حيث بنيته المكانية إلى نوعين كبيرين يختلفان من حيث الأهمية:

. التصدير الاستهلالي *L'épigraphe liminaire* ويأتي على رأس عمل مفرد أو مجموعة من الأعمال المنتظمة في كتاب مفرد أو جزء من كتاب متسلسل ،ولما كان هذا التصدير استهلاليا ،فهو يساهم بالتضافر مع عناصر أخرى من النص الموازي ، في توجيه أفق انتظار القارئ ،وتوسيع أفقه الثقافي في انسجام مع أفق النص[28] .

. التصدير الختامي *L'épigraphe terminale* وهو تصدير يأتي، على غير العادة ،في خاتمة العمل، وموقعه هذا يسمح له بعقد علاقة أكثر تحررا في صلته بالقارئ ،بحيث لا يساهم في توجيه أفق انتظاره ،إلا بمقدار ضئيل ،مادام مبدئيا ،يأتي بعد القراءة الفعلية للنص[29].

من خلال ما سبق ندرك أن هناك فرق بين التصدير الاستهلالي والتصدير الختامي فالأول يعمل على توجيه أفق انتظار القارئ وتوضيح بعض جوانب النص بينما الثاني يأتي في الأخير وبالتالي يكون متحررا في صلته بالقارئ ،بحيث لا يساهم في توجيه أفق انتظاره إلا بمقدار ضئيل لذلك يجب أن يتقيد «التصدير الختامي بشرط الوضوح والدقة والانسجام»[30] حتى يفهم القارئ المقصود منه ويستفيد منه في إيضاح بعض جوانب النص .

للتصدير أهمية بالنسبة للقارئ والمؤلف والنص نفسه لذلك ينبغي على المؤلف أن يحسن اختيار التصديرات المراد تسجيلها على أعماله والحذر من استعمالها للزينة دون أن يكون لها علاقة بالنص .

نظرا لأهمية التصدير كنص موازله دوره في فك شفرات النص، عمدت الكاتبة على توظيفه من أجل الأخذ بيد المتلقي ومساعدته على فهم مقاصدها دون عناء، تصدرت الكاتبة روايتها "السوط والصدى" بتصديرين الأول عبارة عن بيت شعري لأبي الفضل بن الأحنف يقول فيه :

تحمّل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم[31]، يشير هذا البيت إلى ضرورة تحمّل الحبيب مهما كانت ذنوبه عظيمة وعدم إظهار ظلمه.

التصدير الثاني عبارة عن مقولة :« **كل ما أبحث في نفسي عن القوة التي تقيدني، كلما أشعر أنه ليست لي قوة غير إرادتي، من هنا أشعر شعوراً واضحا بحريتي** .» بوسوي[32]، يظهر من خلال هذا القول أن القوة الحقيقية للإنسان تكمن في قوة إرادته، التي هي مصدر حريته .

المتأمل في المقولتين يدرك أن هناك تعالقا خفيا بينهما فالشاعر من خلال بيته يعظم المحبوب ويجعل له مكانة في قلب من يحبه لدرجة أنه يتحمل كل ذنوبه، أما الفيلسوف "بوسوي" فإنه يعظم من شأن الارادة لأن قوة الانسان وحريته تكمن في قوة إرادته، وبالتالي فالحبيب خاضع لحبيبه وإن ظلمه، كما يخضع لإرادته التي يجد فيها حريته. وهذا ما حدث للشعب الجزائري الذي لم يتخل عن وطنه رغم ما تعرض له من قتل وتنكيل من قبل الارهاب، بل تحلى بالإرادة والعزيمة التي مكنته من القضاء على الارهاب واسترجاع أيام عزّه وهكذا فان الارادة وحب الوطن رغم النائبات مصدر قوة كل فرد .

في هذين التصديرين دعوة من الكاتبة إلى كل فرد من أفراد المجتمع إلى التمسك بالوطن وعدم التخلي عنه لأنه مصدر قوة كل مواطن يعشق العيش في حرية.

لقد وظفت الكاتبة تصديرا استهلاليا لأنه وبتضافره مع باقي النصوص الموازية يساهم في توجيه أفق انتظار القارئ، وتوسيع أفقه الثقافي في انسجام مع أفق النص.

5. وظائف العنوان :

إنّ الموقع الاستراتيجي الذي يحتله العنوان مكّنه من أداء جملة من الوظائف المتنوعة والمتداخلة التي يصعب التوصل إليها لأن العلاقة بين النص والعنوان معقدة، قد يسهل أحيانا تحديد وظائف العنوان وحصرها في وظيفة الإرشاد والإغراء والإيضاح وذلك إذا كانت الأعمال الأدبية نثرية تقليدية حيث يرى أصحابها أن «هدف العنوان يكمن في الإفصاح والإبانة والتلخيص لا غير»[33].

غير أن تحديد هذه الوظائف يصبح صعبا إذا تعلق الأمر بالإبداع الشعري لأن مبدعه يختار عناوينا مشحونة بدلائل إيحائية ورمزية، إلا أن هذه الإيحائية والرمزية لم تعد مقتصرة على الأعمال الشعرية بل امتدت إلى الأعمال النثرية حيث أصبح الأدباء يصطفون عناوينا أكثر إيحائية ورمزية لأعمالهم ،ذلك أنه« ينبغي ألا يكون العنوان مثل لائحة الأطعمة فعلى قدر بعده عن كشف فحوى الكتاب تكون قيمته»[34].

لقد اختصر "جيرار جنيت" وظائف العنوان فيما يلي:

. الوظيفة الوصفية f.descriptive[35]: وهي وظيفة تركز على وصف النص.

. الوظيفة التعيينية f.designation: المتعارف عليه أن العنوان اسم الكتاب ولابد . للكاتب أن يختار اسما لكتابه يتداوله القراء.[36]

. الوظيفة الإغرائية f.seductive: تعد الوظيفة الإغرائية من الوظائف المهمة للعنوان المعول عليها كثيرا على الرغم من صعوبة القبض عليها فهي تغرز بالقارئ المستهلك بتنشيطها لقدرة الشراء عنده، وتحريكها لفضول القراءة فيه[37].

. الوظيفة الإيحائية f.commotative[38]:هي أشد ارتباطا بالوظيفة الوصفية أراد الكاتب هذا أم لم يرد ، فلا يستطيع التخلي عنها ،فهي ككل ملفوظ لها طريقتها في الوجود ،ولنقل أسلوبها الخاص، إلا أنها ليست دائما قصدية[39].

إن المتأمل في عنوان رواية "السوط والصدى "يدرك من الوهلة الأولى أن الروائية قد حمّلت عنوان روايتها مجموعة من الدلالات التي لا يمكن اكتشافها إلا بالغوص في أعماق النص لفك شفراته وتفكيك طلاسمه، فهو عنوان تجاوز وظيفة تسمية النص ووصفه كونه أصبح علامة إغرائية تعمل على تشويق القارئ وإثارة فضوله الذي لن يجد بُدًّا من قراءة الرواية لإشباع ذلك الفضول، فهو بذلك عنوان كتوم لم يبح بما جاء في النص وهذا ما جعل منه عنوانا غامضا يدفع بالقارئ إلى طرح مجموعة من التساؤلات ما المقصود بالسّوط. وإلام يرمز؟ ما علاقته بالصدى؟ هذه التساؤلات تدفع القارئ إلى الاقبال على الرواية بنهم والغوص في أعماقها للإجابة عن تساؤلاته .

لقد كان عنوان رواية "السوط والصدى" كالطعم اعتمدته الكاتبة لاقتناص القارئ إلى العمل المعروض. كما أنه من العناوين التي توحي مفرداتها بالألم والعنف .

6. الخاتمة

. إنّ العنوان إبداع فنّي له القدرة على استفزاز المتلقي وتوجيهه، لما له من فضائية مغرية ومعان تثير ضجيجا فكريا في ذهن المتلقي، مما يحذو به لمحاورته ومحاولة فهمه وبالتّالي جلب المتلقي لقراءة الرواية والغوص في معانيها التي لم ينتظرها أصلا، لأن العنوان الروائي لا يبوح بها بل يترك القارئ يستكنه لذّة اكتشافها.

. تشكيل العنوان لا يأتي عبثا أو من قبيل الصدفة، فمن خلال تركيبته وبنيته الدلالية يكشف عن قصدية الكاتب و اختياره، ومدى حرصه على الربط بين دلالة العنوان بالنص .

. يتعالق العنوان مع باقي النصوص الموازية من(غلاف وإهداء وتصدير) من أجل إضاءة النص والتعرف على محيطه ومقاصد مؤلفه .كما أنها تأخذ بيدي المتلقي إلى الغوص في المعاني العميقة للنص وفهمها.

. تبين من خلال دراستنا لعنوان رواية "السوط والصدى " أن عملية اختيار العنوان لم تكن اعتباطية وإنما هي مقصودة إذ أنها تعد رسالة مشفرة بين الكاتب والمتلقي /القارئ لا يستطيع القارئ فك شفراتها إلا بتجنيد جميع معارفه ومهارته.

هوامش البحث:

[1] حسن محمد عبد الناصر: سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي ، دار النهضة العربية ، د.ط، القاهرة ،2002، ص 07.

[2] خالد حسين حسين: في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، د.ط ، ص 77، ص 78.

[3] جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع ، ط1، عمان ،1011، ص66.

[4] صباحي حميدة : العنوان وتفاعل القارئ ،قراءة تأويلية في شعر عبد الله العشي ،مجلة قراءات ، الجزائر ، ص245.

[5] بودربالة الطيب :قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس ،الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي. 28 ماي 2014، جامعة باتنة، الجزائر،ص30.

[6] صبيحي مجيد علي: سيميائية العنونة من عتبة التسمية إلى فضاء المتن الشعري ،قراءة في أعمال علي عقلة عرسان الشعرية ،مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل ،2013،ص 22.

[7] ابن مظور : لسان العرب ، دار المعارف، د ط، القاهرة ، د ت.ص2150.

[8] المرجع نفسه ،ص 2421.

[9] المرجع نفسه، ص 69.

[10] المرجع نفسه، ص 103.

[11] بنور عائشة: السوط و الصدى ، منشورات وزارة الثقافة ،د ط ، 32،2006.

[12] المرجع نفسه ،ص32.

[13] المرجع نفسه، ص95.

[14] المرجع نفسه، ص95.

[15] المرجع نفسه، ص 95.

[16] المرجع نفسه، ص 98.

[17] المرجع نفسه، ص98.

[18] جميل حمداوي :شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) ، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني ، ط2، الناظور، تطوان/ المملكة المغربية ، ص109.

[19] أحمد مختار عمر، اللغة و اللون، عالم الكتب، ط1 ،1997، ص 164.

[20] بلعابد عبد الحق، عتبات جيرار جينيت من النص إلى النص، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان. 2008، ص93.

[21]، المرجع نفسه، ص99

[22] حمداوي جميل: شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي)،دا الريف للطبع والنشر الالكتروني، ط2، المملكة المغربية،2020، ص99،ص 100

[23] الحجمري عبد الفتاح،، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة (الدار الرابطة)، د ب، 1996،ص26، ص 27.

[24] بنور عائشة، السوط والصدى ،ص 03.

[25] المرجع نفسه، ص 10،ص11

[26] نبيل منصور : الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال للنشر ،ط1 ،المغرب ، 2007،ص58.

[27] المرجع نفسه، ص 56.

[28] نبيل منصور : الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص58.

[29] المرجع نفسه، ص 58.

[30] المرجع نفسه ، ص 56.

[31] بنور عائشة :السوط والصدى ، ص 05.

[32] المرجع نفسه، ص06

[33] أشهبون عبد المالك :العنوان في الرواية العربية ، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع ،دط، دمشق ،2011،ص22.

[34] الهميسي محمد ،براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، مجلة الموقف الأدبي ، ع 313، 1ماي 1997، ص 114.

[35] عبد الحق لعابد : عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1، لبنان ، 2008، ص 82.

[36] المرجع نفسه، ص 78.

[37] المرجع نفسه، ص 85.

[38] المرجع نفسه، ص 87.

[39] المرجع نفسه، ص 87.

قائمة المراجع :

- **المؤلفات:**

1. ابن مظور: لسان العرب ،دار المعارف، د ط، القاهرة ، د ت.
2. أحمد مختار عمر: اللغة و اللون، عالم الكتب، ط1 ،د ب ،1997 .
3. أشهبون عبد المالك : العنوان في الرواية العربية ، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع ،د ط، دمشق ،2011.
4. بلعابد عبد الحق: عتبات جيرار جينيت من النص إلى النص، الدار العربية للعلوم ناشرون،د ط، لبنان ،2008 .
5. بنور عائشة: السوط و الصدى ، منشورات وزارة الثقافة ،د ط ، الجزائر، 2006.
6. جميل حمداوي : شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي) ، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني ، ط2، الناظور، تطوان/ المملكة المغربية .
7. جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق ، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع ، ط1، عمان ،1011.
8. الحجمري عبد الفتاح،عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة (الدار الرابطة)، د ب، 1996.
9. حسن محمد عبد الناصر: سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي ، د ط، دار النهضة العربية ، القاهرة ،2002.
10. خالد حسين حسين : في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ،دار التكوين، دب، د ت .
11. نبيل منصور : الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال للنشر ،ط1 ،المغرب ، 2007.

- **المقالات:**

1. صباحي حميدة : العنوان وتفاعل القارئ ،قراءة تأويلية في شعر عبد الله العشي ،مجلة قراءات ، ع 05، 2013.
2. صبيحي مجيد علي: سيميائية العنونة من عتبة التسمية إلى فضاء المتن الشعري ،قراءة في أعمال علي عقلة عرسان الشعرية ،مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل، م 1، ع13 ،2013 .
3. الهميسي محمد : براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، مجلة الموقف الأدبي ، ع 313، 1ماي 1997.

- **المداخلات :**

بودربالة الطيب: قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس ،الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي. 28 ماي 2014، جامعة باتنة، الجزائر.